دار الوطن
٢٠٤

الامتحان الأكبر

إعداد
محمد بن سرّار اليامي

مركز خدمة المتبرعين
الرياض - ص.ب ٣٣١٠ - هاتف ٤٧٩٢٠٤٢ - فاكس ٤٧٢٣٩٤١

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وبعد:

قال محدثي: كأني بك تقصد شيئاً من وراء عنوانك يا أستاذ.

قلت: نعم.

قال محدثي: وماذا قصدت؟!

قلت: قصدت الامتحان الرهيب.

قال محدثي: امتحان «جامعي» أم «ثانوي»؟

قلت: لا.. امتحانٌ أُخرويٌ.

قال محدثي: فما دفعك لهذا العنوان يا أستاذ؟!

قلت: خطر لي هذا العنوان في صبيحة يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من شهر رجب عام ألف وأربعمائه وعشرين للهجرة، حيث كنت مراقباً في لجنة الامتحان.. فرأيت العرق يتصبب، والدعاء ينهال أرتالاً، والإنابة، والاستغاثة، والاستعانة... وأثارَ ما رأيتُ حفيظتي، فبحثت عن قلمي لأُسجل ما عَنَّ لي عَنْ ذلك اليوم العظيم.. عن ذلك الامتحان الرهيب، عن الهول المهول، عن يوم القيامة.

قال محدثي: صدقت. والله إنه الامتحان الرهيب بل هو والله كما عنونت الامتحان الأكبر، وإن النجاح فيه هو النجاح الحقيقي بل هو الفوز والفلاح. وأما الرسوب فيه ـ أجارنا الله وإياك ـ فهو الخسران الحقيقي بل هو التباب والضلال.

قلت: صدقت يا محدثي.. والله إنه لكما قلت. بل

هناك أمرٌ.

قال محدثي: وما هو؟

قلت: امتحان الدنيا فيه رسوب ونجاح، وامتحان الآخرة كذلك؛ ولكن الراسب في امتحانات الدنيا له دور ثان يستطيع أن يستدرك فيه ما فاته، ويتدارك ما قصَّر فيه، أما امتحان الآخرة الأكبر فليس فيه تخلص من الرسوب أبدَ الآباد، بل هو خلود في النار فلا موت لأهل النار ـ عياذاً بالله ـ وخلودٌ في الجنة فلا موت لأهل الجنة ـ جعلنا الله وإياكم منهم ـ فهم أهل النجاح الحقيقي.

قال محدثي: حدثني بالمزيد يا أستاذ.. فكلي آذَانٌ صاغية.

قلت: إذن أنصت.

قال: تفضل يا أستاذ..

قلت: نحن نستعد ونتأهب والبيوت كأنها تتحرك، والروتين ينكسر والسهر يكثر، كل هذا من أجل الامتحانات التي نمرَّ بها. فنحن نستعد ونتعب والطلاب يَدرُسون والآباء يُدَرِّسون ويحرصون، والله ولي التوفيق.

قال محدثي: يا أستاذ كل هذا لامتحانٍ دنيوي..

قلت: نعم كل هذا..

قال محدثي: أفلا يكون استعدادنا للامتحان الأكبر يا أستاذ أولى وألزم وأوجب؟!

قلت: بلى والله..

قال محدثي: فما رأيك يا أستاذ في قول الأول:

نسيرُ إلى الآجالِ في كل لحظةٍ
وأيامُنا تطوى وهنَّ مراحلُ
ولم أر مثلَ الموتِ حقًّا كأنه
إذا ما تخطته الأماني باطلُ
وما أقبحَ التفريط في زمنِ الصبا
فكيف به والشيبُ بالرأسِ شاعلُ
ترحل من الدنيا بزاد التقى
فَعُمرك أيامٌ وَهُنَّ قلائلُ

قلت: إن أعظم مما قلتَ يا محدثي قول الله جل وعز: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾، وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾، وقوله: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾، وقوله: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾.

قال محدثي: صدقت يا أستاذ.. قول الله أعلى وأجل، فهل من كلام لذلك الذي أشعل سراجه في دياجير الظلام. مذاكراً ومراجعاً لدروسه.. هل من حديث معه.

قلت: صدقت يا محدثي..

أخي المسلم.. أختي المسلمة..

* يا من أتعبتَ جسمك سهراً في ظلمة الليل مراجعاً ومذاكراً وحافظاً.. هلاَّ قدمت ليوم معادك كما أنت تقدم ليوم معاشك.. نعم.. نحن نجدُّ ونجتهد، ونفرح بالنجاح ونحزن عند الرسوب والإخفاق..

ولكن السعادة كل السعادة في النجاح الأبدي.. نعم والله نجاحٌ ما بعده نجاح.

أخي المسلم.. أختي المسلمة..

* الامتحان الأكبر امتحان لا يليه امتحان، إنه امتحانٌ عظيمٌ فيه تنطق الجوارح، وتتكلم الأعضاء، وتُنْصَبُ الموازين، فإن نجح العبد فيا سعادته الأبدية.. ؛ وإن رسب فيا ويله من ربِّه جل وعز.

أخي المسلم.. أختي المسلمة..

* إذا عُلِمَ هذا فعلينا بالاستعداد لذلك اليوم العظيم.. أكثرَ مما نستعد في حياتنا الدنيا لهذه الدنيا.

أخي المسلم.. أختي المسلمة..

* أصغ لي سمعك.. نعم أنت.. وأعطني قلبك.. واسمع ماذا يقول المعصوم صلى الله عليه وسلم، يقول: **«لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً»** [رواه الطبراني وابن عساكر]. ويقول صلى الله عليه وسلم: «كفى بالموت واعظاً».

أخي المسلم.. أختي المسلمة..

* إن من أعجب العجائب سرورنا بفرحنا.. وسهونا في لهونا.. نغترُّ بالصحة، وننسى دنو السقم، نفرحِ بالعافية وننسى الألم؛ والعاقل والسعيد مَنْ وُعِظ بغيره.. قال صاحب صفة الصفوة فيما يرويه عن الربيع بزة قال: «عجبت للخلائق كيف ذهلوا عن أمر حق تراه أعينهم، وتشهد عليه معاقد قلوبهم إيماناً وتصديقاً بما جاء به المرسلون، ثم ها هم في غفلة عنه سكارى يلعبون».

أيها السائر إلى ربك وكلنا كذلك: قال أحد السلف لصاحبه: كم عمرك؟

قال ستون عاماً. قال له صاحبه: إن صاحب الستين قد أوشك، أنت من ستين عاماً وأنت تسير إلى ربك.

نعى لك ظلّ الشبابِ المشيبُ
ونادتكَ باسمِ سواكَ الخطوبُ
فكن مستعداً لريبِ المنونِ
فإنَّ الذي هو آتٍ قريبُ

كلنا قادمون عليه سبحانه وتعالى بما لنا وما علينا، وما خاف مؤمن اليوم إلا أمن غداً، وإن المُعِدَّ لذلك اليوم محسن، والله لا يضيع أجر المحسنين.

أما من فرَّط فسيصرخ بالرجعة للدنيا ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ﴾ أتدرون لماذا يطلب الرجعة. يقول جل وعز عنه: ﴿لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾.

قال محدثي: صدقت وبررتَ يا أستاذ..، ولكن أين أهل العمل للآخرة؟!

قلت: كثيرون بحمد الله، وإنما هذه ذكرىٰ لي ولإخواني أهل الإيمان.

أقول: إنما هي ذكرىٰ، لكي نستفيد من واقعنا الذي نعيشه، وإذا مرَّت علينا أيام الامتحانات الدراسية، فنذكر ذلك الامتحان الأكبر.. اهـ.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تمت على يد مقيِّدها

محمد بن سرّار اليامي

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه أجمعين. آمين.

١٦/ ١١/ ١٤٢٠هـ

* * *